



فوائد معرفة أسباب النزول

بحثٌ مُقدّمٌ لمقرّر البحث العمليّ

إعداد

عبدالرحمن ناصر غراب

إشراف

د/علي أسعد

أكاديمية تفسير

برنامج ابن كثير (المستوى الثاني)

ربيع الثاني ١٤٤٣هـ/ نوفمبر ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخّص البحث

هذا البحث يوضح فوائد معرفة أسباب النزول من معرفة حكمة التشريع وأنه قام على رعاية مصلحة الأمة، وأنها خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكذلك معرفة من نزلت فيه الآية بعينه حتى لايُبرأ المتهم أو يتهم البريء، ويوضح البحث أن معرفة أسباب النزول تدفع توهم الحصر، ومعرفتها قد تفيد في تخصيص احكم ما عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، وأن اللفظ قد يكون عاماً، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته. وأخيراً يوضح البحث كيفية الاستفادة من معرفة أسباب النزول في مجال التربية والتعليم.

المُقدّمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وصلاةً وسلاماً على المبعوث هادياً وسراجاً منيراً.
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان [٣٢]
اقتضت حكمة الله البالغة ورحمته الواسعة أن ينزّل هذا القرآن منجماً ومفرقاً على رسوله الأمين، ليكون أبلغ في التأثير والتثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الذين عايشوا الوحي والتنزيل ووقائع السيرة النبوية المطهرة.

«قال الحسن في قوله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء [١٠٦] ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة، أنزل عليه بمكة ثماني سنين قبل أن يهاجر، وبالمدينة عشر سنين.»[١]

وهناك آيات كثيرة كانت تتنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم لأسباب خاصة رداً على سؤال أو نتيجة حادثة وهو ما يسميه العلماء بأسباب النزول، «واعتنى العلماء رحمهم الله تعالى عناية مميزة بدراسة أسباب النزول وتتجلى هذه العناية في ثلاث صور:

الأولى: أن المفسرين يوردون في أول تفسير كل آية ما ورد في سبب نزولها – إن كان لها سبب نزول–.

الثانية: أنهم أفردوا في بيان أسباب النزول أبواباً مستقلة من أبواب علوم القرآن في مؤلفاتهم.

الثالثة: أنهم أفردوا لأسباب النزول مؤلفات مستقلة.»[٢]

وأول من أفرده بالتأليف علي المديني، وممن ألف فيه عبدالرحمن بن محمد فقد ألف كتابه (القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن). ومنهم الواحدي واسم كتابه (أسباب النزول)، ومنهم ابن الجوزي واسم كتابه (أسباب نزول القرآن)، ومنهم ابن حجر العسقلاني واسم كتابه (العجاب في بيان الأسباب)، ومنهم السيوطي الذي ألف كتابا سماه (لباب النقول في أسباب النزول).[٣]

وفي هذا البحث سوف نوضح – بإذن الله – فوائد معرفة أسباب النزول، والله الموفق والمستعان.

---

١ الواحدي، أسباب النزول، دار الإصلاح–الدمام–المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/١٩٩٢م، ص ٧.

٢ ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، دار ابن حزم–بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ١٨.

٣ يُنظر فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم– مكتبة الملك فهد الوطنية– المملكة العربية السعودية– الطبعة الرابعة عشرة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٤٨–١٤٩.

مشكلة البحث:

١. مافوائد معرفة أسباب نزول القرآن؟
٢. كيف تفيد معرفة أسباب النزول على بيان حكمة التشريع؟
٣. كيف تعين معرفة أسباب النزول على فهم المراد بالآية وتفسيرها التفسير الصحيح؟
٤. كيف تفيد معرفة من نزلت فيه الآية بعينه في تبرئة المتهم وعدم اتهام البريء؟
٥. كيف تفيد معرفة أسباب النزول في دفع توهم الحصر؟
٦. كيف تفيد معرفة أسباب النزول في تخصيص حكم مانزل بالعموم عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ؟
٧. كيف تفيد معرفة أسباب النزول في قصر التخصيص على ما عدا صورة الأسباب إذا كان لفظ ما نزل عاماً و ورد دليل على تخصيصه؟
٨. كيفية تفيد معرفة أسباب النزول في مجال التربية والتعليم؟

أهداف البحث:

١. معرفة فوائد أسباب النزول.
٢. توضيح أن لمعرفة أسباب النزول دور في بيان حكمة التشريع.
٣. توضيح أن معرفة أسباب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن.
٤. توضيح أن معرفة من نزلت فيه الآية بعينه في عدم اتهام البريء وفي تبرئة المتهم.
٥. توضيح أن معرفة أسباب النزول تدفع توهم الحصر.
٦. توضيح أن معرفة أسباب النزول في تخصيص حكم مانزل بالعموم عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.
٧. إذا كان لفظ ما نزل عاماً و ورد دليل على تخصيصه فمعرفة سبب النزول تفيد في قصر التخصيص على ما عدا صورته.
٨. الاستفادة من معرفة أسباب النزول في مجال التربية والتعليم.

خطّة البحث:

يشتمل هذا البحث على: مُقدّمة، وتمهيد، ومبحث رئيسي مقسم إلى سبعة مطالب، وخاتمة، وهي كما يلي:

المُقدّمة: وفيها مشكلة البحث، وأهداف البحث، وخطّة البحث.

تمهيد: وفيه توضيح لأقسام آيات القرآن من حيث سبب النزول وعدمه، وشرح معنى سبب النزول، وطرق معرفة سبب النزول، وكذلك توضيح فوائد معرفة أسباب النزول.

المبحث الرئيسي: فوائد معرفة أسباب النزول

المطلب الأول: معرفة أسباب النزول تفيد في بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة.

المطلب الثاني: معرفة أسباب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن.

المطلب الثالث: معرفة من نزلت فيه الآية بعينه تفيد في عدم اتهام البريء وفي تبرئة المتهم.

المطلب الرابع: معرفة أسباب النزول تدفع توهم الحصر

المطلب الخامس: معرفة أسباب النزول تفيد في تخصيص حكم مانزل بالعموم عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

المطلب السادس: إذا كان لفظ ما نزل عاماً و ورد دليل على تخصيصه فمعرفة سبب النزول تفيد في قصر التخصيص على ما عدا صورته.

المطلب السابع: الاستفادة من معرفة أسباب النزول في مجال التربية والتعليم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتّوصيات.

تمهيد

نزل القرآن ليهدي الإنسانية إلى المحجة الواضحة، ويرشدها إلى الطريق المستقيم، ويقيم لها أسس الحياة الفاضلة. وأكثر القرآن نزل ابتداءً لهذه الأهداف العامة، ولكن الصحابة رضي الله عنهم في حياتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يقع بينهم حادث خاص يحتاج إلى بيان شريعة الله فيه، أويلتبس عليهم أمر فيسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فيتنزل القرآن لذلك الحادث أو لهذا السؤال الطاريء، ومثل هذا عرف بأسباب النزول.[٤]

وعلى هذا فإن آيات القرآن تنقسم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين:

الأول: قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة، وإنما مرتبط بالسبب العام، وهو هداية الناس، وهذا القسم هو أكثر آيات القرآن الكريم.

الثاني: قسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة، يسميه العلماء سبب نزول الآية، وآيات هذا القسم هي الأقل.[٥]

معنى سبب النزول:

هو مانزل بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال. فسبب النزول يكون قاصراً على أمرين:

١. أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشأنها.
٢. أن يُسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتنزل القرآن ببيان الحكم فيه.

ولا يعتبر الإخبار عن المستقبل، ولاقصص الأنبياء والمرسلين من أسباب النزول.[٦]

طرق معرفة أسباب النزول:

«لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدّوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في العلم بالنار» [٧]

«قال الشيخ أبو الفتح القشيري: بيان سبب النزول طريق قويٌّ في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا» [٨]

---

٤ يُنظر مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة–القاهرة–مصر، الطبعة السابعة، ص ٧١.
٥ يُنظر فهد الرومي، مصدر سابق، ص ١٤٨.
٦ يُنظر ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ص ١٥
٧ الواحدي، مصدر سابق، ص ٨.
٨ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مكتبة دار التراث–مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م، مجلد ١ ص ٢٢.

ولمعرفة أسباب النزول فوائد منها:

١. «بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة».[٩]

٢. «خير سبيل لفهم معاني القرآن». [١٠]

٣. «معرفة من نزلت فيه الآية بعينه، حتى لايُبرأ المتهم أو يتهم البريء». [١١]

٤. «دفع توهم الحصر». [١٢]

٥. «تخصيص حكم مانزل بالعموم من السبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ». [١٣]

٦. «إذا كان لفظ ما نزل عاماً و ورد دليل على تخصيصه فمعرفة السبب تقصر التخصيص على ما عدا صورته».[١٤]

٧. «الاستفادة من معرفة أسباب النزول في مجال التربية والتعليم». [١٥]

---

٩ السيد محمد نوح، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، مكتبة أهل الأثر، حولي- الكويت، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٨٣.

١٠ السيد محمد نوح، نفس المصدر، ص ٨٣

١١ فهد الرومي، مصدر سابق، ص ١٥٦.

١٢ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المملكة العربية السعودية، ص١٩٤.

١٣ السيد محمد نوح، مصدر سابق، ص ٨٣.

١٤ السيد محمد نوح، نفس المصدر، ص ٨٣.

١٥ مساعد الطيار، المحرر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي-جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ١٣٦.

المبحث الرئيسي: فوائد معرفة أسباب النزول

المطلب الأول: معرفة أسباب النزول تفيد في بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة.

«إن من فوائد نزول القرآن منجماً أنه يساير الحوادث التي كانت تحدث للأمة الإسلامية إبّان نشوئها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأي حدث يحدث، ويحتاج المسلمون فيه إلى بيان فإنه يحصل لهم بيانه بطرق متعددة، منها نزول القرآن الكريم.

وإذا تأملت بعض التشريعات وجدتها نزلت على أسباب، اللعان، والظهار، والعضل، وتقسيم الغنائم، وغيرها من التشريعات. ومعرفة الأسباب المقترنة بالآيات يدلك على شيء من حكمة التشريع، ورحمة الله بعباده بأن لم يتركهم هملاً بلا شرع» [16]

«وذلك كحادثة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها حين جاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تشتكي زوجها، وهي تقول: يا رسول الله أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك. فنزل قول الله تعالى

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ المجادلة [١]، وهو أوس بن الصامت. فشرع الله تعالى الكفارة رحمة بها وبأمثالها، وصيانة للأسرة في المجتمع الإسلامي من التفكك، وحماية للأبناء من التشرد». [17]

ففي معرفة أسباب النزول « معرفة حكمة الله تعالى على التعيين فيما شرعه بالتنزيل، وفي ذلك نفع للمؤمنين وغير المؤمنين:

أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه، لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل. وأما الكافر فتسوقه تلك الأحكام الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفاً، حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد والتحكم والطغيان». [18]

ومطالعة أسباب النزول تعطي فكرة جيدة عن أسرار التشريع الإسلامي، ففي أسباب النزول من العبر وحل المشاكل التي قد ضاق بها أصحابها ذرعاً فيأتي الفرج الألهي وذلك كقصة الثلاثة الذين خُلفوا، وكقصة الإفك وماحدث لنبي الهدى من الأذى بسببه، وكذا لأم المؤمنين إذ بكت حتى ظن أبواها أن البكاء فالق كبدها. فيأتي الفرج بعد الشدة. وكقصة هلال بن أمية إذ رمى زوجته بالزنى فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:»البينة أو حد في ظهرك» فأنزل الله آية اللعان وأتى بالعلاج بعد تفاقم الداء. [19]

---

١٦ مساعد الطيار، مصدر سابق، ص ١٣٦.

١٧ يُنظر فهد الرومي، مصدر سابق، ص ١٥٣-١٥٤.

١٨ ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ص ٢٠.

١٩ يُنظر مقبل الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة صنعاء الأثرية-اليمن، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٣

المطلب الثاني: معرفة أسباب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن

«ومن فوائده الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال:

قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها.

وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.

وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.»[٢٠]

«وقد أشكل على مروان بن الحكم قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ ﴾ آل عمران [١٨٨]. وقال:» لئن كان كلُّ امريءِ فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل مُعذّباً، لنُعذّبنّ أجمعون» حتى بين له ابن عباس أنها نزلت أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستُحمدوا بذلك إليه. أخرجه الشيخان.» [٢١]

«ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ المائدة [٩٣]. فحُكي عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معديكرب أنهما كانا يقولان: الخمر مباحة، ويحتجّان بهذه الآية، وخفي عليهما سبب نزولها، فإنه يمنع من ذلك، وهو ما قاله الحسن وغيره : لما نزل تحريم الخمر، قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم، وقد أخبر الله أنها رجس! فأنزل الله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ ﴾ «.[٢٢]ومثله آية:﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة [١٥٨] فإن ظاهر لفظ الآية لا يقتضي أن السعي فرض، لأن رفع الجنتح يفيد الإباحة لا الوجوب، وقد ردت عائشة على عروة بن الزبير في فهمه ذلك بما ورد في سبب نزولها»، وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية، حيث كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة، وهما صنمان، وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما. [٢٣]

«وروى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ البقرة [١١٥]. وبهذا ندرك أن هذه الآية خاصى بمن صلى وهو لايعرف القبلة ثم يتبين له خطؤه، فإنه لايعيد الصلاة، وكذا في صلاة النافلة على الراحلة في السفر لايلزم التوجه إلى القبلة. وبعرفة سبب النزول زال الإشكال. [٢٤]

---

٢٠ جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٧.

٢١ جلال الدين السيوطي، مصدر سابق، ص ١٩١.

٢٢ بدر الدين الزركشي، مصدر سابق، مجلد ١ ص ٢٨.

٢٣ يُنظر مناع القطان، مصدر سابق، ص ٧٧.

٢٤ يُنظر فهد الرومي، مصدر سابق، ص ١٥٥.

المطلب الثالث: معرفة من نزلت فيه الآية بعينه تفيد في عدم اتهام البريء وفي تبرئة المتهم.

«حتى لايزعم أحد أن المراد بالذم في تلك الآية فلان من الصحابة وهو بريء ، أو ينسب إلى آخر صفات مدح في آية، والمراد به غيره، وفي تفاسير الشيعة كثير من هذا النوع، فلا تكاد تجد آية فيها مدح أو ثناء على أحد أيّاً كان إلا وألصقوها بأحد أئمتهم، ولا يدعون آية فيها ذم إلا وألصقوها بمخالفيهم، أو بأحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم». [25]

ويوضح سبب النزول من نزلت فيه الآية بعينه حتى لاتُحمل على غيره بدافع الخصومة والتحامل. ففي بعض الروايات: إن مراون لما طلب البيعة ليزيد قال: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبدالرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر ، فقال مروان : هذا الذي قال الله فيه : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧ ﴾ الأحقاف [١٧]، فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب مروان، والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي نزلت فيه لسميته. [26]

المطلب الرابع: معرفة أسباب النزول تدفع توهم الحصر

قال الشافعي ما معناه في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ١٤٥ ﴾ الأنعام [١٤٥] إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادّة والمحادّة، فجاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه، والغرض المضادّة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه تعالى قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزيروما أُهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحلّ. [27]

«قال إمام الحرمين: (وهذا في غاية الحسن، ولولا سبق الشافعي إلى ذلكلما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية. وهذا قد يكون من الشافعي أجراه مجرى التأويل)». [28]

---

٢٥ فهد الرومي، مصدر سابق، ص ١٥٦-١٥٧.
٢٦ يُنظر مناع القطان، مصدر سابق، ص ٧٧ – ٧٨.
٢٧ يُنظر جلال الدين السيوطي، مصدر سابق، ص ١٩٤- ١٩٥.
٢٨ بدر الدين الزركشي، مصدر سابق، ص ٢٣- ٢٤.

المطلب الخامس: معرفة أسباب النزول تفيد في تخصيص حكم ما نزل بالعموم عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

اختلف أهل الأصول: هل العبرة بعموم اللفظ، أو بخصوص السبب؟ والأصح عندنا الأول. وقد نزلت آيات في أسباب، واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان في شأن هلال بن أميّة، وحدّ القذف في رماة عائشة، ثم تعدى إلى غيرهم. ومن لم يعتبر بعموم اللفظ قال: خرجت هذه الآيات ونحوها لدليل آخر كما قُصرت آيات على أسبابها اتفاقاً لدليل قام على ذلك. [٢٩]

المطلب السادس: إذا كان لفظ ما نزل عاماً وورد دليل على تخصيصه فمعرفة سبب النزول تفيد في قصر التخصيص على ما عدا صورته. ولا يصح إخراجها.

لأن دخول صورة السبب في اللفظ العام قطعي، فلا يجوز إخراجها بالاجتهاد لأنه ظني، وهذا هو ما عليه الجمهور وقد يُمثّل لهذا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ النور[٢٣] فإن هذه الآية نزلت في عائشة خاصة، أو فيها وفي سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يجعل الله لمن فعل ذلك توبة، وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم التوبة. [٣٠]

المطلب السابع: الاستفادة من معرفة أسباب النزول في مجال التربية والتعليم.

«إن إدراك أسباب النزول تعطي المربي فرصة كبيرة في التعامل مع الناس على ما هم عليه من الواقع الذي يعيشونه، ومن الأخلاق التي جبلهم الله عليها، وترشده إلى كيفية إثارتهم إلى القضية التي يريد أن يتحدث عنها ببيان كيفية عناية الله بمن نزل فيهم قرآن من المؤمنين، وكيف عالج ما فيهم من الأدواء، وكيف فضح أعدائهم وأبان لهم صنائعهم ومنكراتهم. هذا وإن لم يكن يختص بالآيات الواردة على سبب وحدها، إلا أن نزولها على سبب يزيد في قوتها من هذه الجهة، والله أعلم». [٣١]

وعرض سبب النزول سبيل ناجح للتمهيد للدرس بالربط بين المعلومات وتأسيس قاعدة وإثارة انتباه الطلاب وجذب مشاعرهم في تدريس تلاوة القرآن الكريم، وتدريس تفسير القرآن الكريم، إذ إن سبب النزول لايخلو من أن يكون حادثة أو سؤالاً، ومثل هذا كاف لجذب انتباه الطلاب وربطهم بالمادة العلمية، وتزويدهم بمعلومة عامة ينطلقون منها إلى التفصيل، ومعرفة ما يتعلق بالآية من تفسير لمفرداتها، وبيان لأحكامها، وإدراك لأسرار التشريع فيها، وتوثيق صلتهم بالآية. [٣٢]

---

٢٩ يُنظر جلال الدين السيوطي، مصدر سابق، ص ١٩٦- ١٩٧.
٣٠ يُنظر مناع القطان، مصدر سابق، ص ٧٦- ٧٧
٣١ مساعد الطيار، مصدر سابق، ص ١٣٦.
٣٢ يُنظر فهد الرومي، مصدر سابق، ص ١٦١ — ١٦٢.

الخاتمة

وفي الختام، بعد أن وضّحنا فوائد معرفة أسباب النزول كانت أهم النتائج التي توصّلنا كما يلي:

١. بيان دور معرفة أسباب النزول في معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ومنها: التيسير على الناس، وبيان رحمة الله بعباده ورعاية مصالحهم.
٢. بيان دور معرفة أسباب النزول في فهم كلام الله على الوجه الصحيح، الوقوف على معناه، وإزالة ما قد يقع من اللبس أو الإشكال، ولعل هذه الفائدة من أهم فوائد العلم بأسباب النزول.
٣. بيان أن معرفة أسباب النزول تفيد في معرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيها.
٤. بيان أن معرفة أسباب النزول تفيد في دفع توهم الحصر.
٥. بيان أن معرفة أسباب النزول تفيد في تخصيص الحكم مانزل عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.
٦. أن اللفظ قد يكون عاماً، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته.
٧. الاستفادة من معرفة أسباب النزول في مجال التربية والتعليم، فهي تفيد في تحقيق الأهداف التربوية من إثارة انتباه الطلاب وتهيئة نفوسهم لدروس القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وتفسيراً.

وبعد أن وضحنا أن دراسة علم أسباب النزول لها أهمية كبيرة في كونها المدخل الصائب والطريق المنير لتفسير آيات القرآن الكريم، كانت أهم التوصيات كما يلي:

١. التعرف على أهم المؤلفات في أسباب النزول ودراستها والعناية بالرجوع إليها في فهم وتفسير الآيات.
٢. الاستفادة من مبدأ التدرج كما حدث في نزول القرآن وبعض التشريعات واستخدام التدرج في مجال التربية والتزكية والتعليم والتغيير.
٣. الاهتمام بدراسة أصول الفقه بجانب دراسة التفسير وذلك لفهم الأدلة والمصطلحات – كالعام والخاص – والأحكام الفقهية.

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المراجع

١. أسباب النزول، الواحدي، أسباب النزول، دار الإصلاح–الدمام–المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/١٩٩٢م.

٢. العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، دار ابن حزم–بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣. دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي، مكتبة الملك فهد الوطنية– المملكة العربية السعودية– الطبعة الرابعة عشرة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة–القاهرة–مصر، الطبعة السابعة.

٥. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، مكتبة دار التراث– مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

٦. الوجيز في علوم الكتاب العزيز، السيد محمد نوح، مكتبة أهل الأثر، حولي– الكويت، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٧. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف– المملكة العربية السعودية.

٨. المحرر في علوم القرآن، مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي–جدة– المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٩. الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي، مكتبة صنعاء الأثرية– اليمن، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الفهرس